اغتمامٌ والدي فيجتمع ذلك وانا احبسك عندي ليزداد غمه ولا يمكنني هذا الا بعد ان اشهرك بامر قبيح وانسبك الى ما لا يجمل
قال لا ابالي فافعل ما بدا لك فاني لا افارقك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليكم بالسرقة ليتهيأ
لي ردك بعد تسريحك قال فافعل ما شئت فذلك قوله عز وجل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه
وهي المشربة التي كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحاق كانت من فضة وقيل
من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر جعلها يوسف مكيالا لئلا يكال بغيرها وكان
يشرب فيها والسقاية والصواع اسم لاناء واحد جعلت في وعاء طعام اخيه بنيامين ثم ارتحلوا راجعين الى
بلادهم فامهلهم يوسف حتى ارتحلوا وانطلقوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم ارسل خلفهم من استوقفهم
وحبسهم ثم اذن مؤذن اي نادى مناد واعلم معلم الاذان في اللغة الاعلام ايتها العير وهي القافلة التي
فيها الاحمال وقال مجاهد العير الحمير وقيل كلما سير عليه من الابل والحمير والبغال فهي عير وقول من قال انها
الابل خاصة باطل وقيل العير الابل التي عليها الاحمال سميت بذلك لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة
الحمير ثم اثر ذلك في الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير فقوله ايتها العير اراد اصحاب العير انكم لسارقون
فان قلت هل هذا النداء بامر يوسف ام لا
فتنبوا السرقة لاخذه ما ليس له لاخذه في اخفا
فان كان بامره فكيف يليق بيوسف مع علو منصبه وشريف رتبته من النبوة والرسالة ان يبهت قوما
وينسبهم الى السرقة كذبا مع علمه ببراتهم في تلك التهمة التي نسبوا اليها ثم ذكر العلما عن هذا السؤال
اجوبة احدها ان يوسف لما اظهر لاخيه اني اخاك قال لست افارقك قال لا سبيل الى ذلك الا بتدبير حيلة
انسبك فيها الى ما لا يليق فقال رضيت بذلك فعلى هذا التقدير لم يتالم قلبه بسبب هذا الكلام بل قد
رضي به فلا يكون ذنبا ٠ الثاني ان يكون المعنى انكم لسارقون ليوسف من ابيه الا انهم ما اظهروا هذا الكلام
فهو من المعاريض والمعاريض مندوحة عن الكذب ٠ الثالث انه يحتمل ان يكون المنادي ربما قال ذلك على النفي على
سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا ١٠ الرابع ليس في القران ما يدل على انهم قالوا ذلك بامر يوسف
وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هنالك احد غيرهم غلب على ظنهم انهم هم
الذين اخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قال لاصحاب الاخبار لما وصل الرسل
الى اخوة يوسف قالوا لهم الم نكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوفي لكم الكيل ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وما ذاك
قالوا فقدنا سقاية الملك ولا نتهم عليها غيركم فذلك قوله تعالى واقبلوا عليهم ماذا تفقدون والفقدان
ضد الوجود قالوا يعني المؤذن واصحابه نفقد صواع الملك اي الصاع الاناء الذي يكال به وجمع اصوع والصواع
لغة فيه وجمعه صيعان ولمن جاء به يعني بالصواع حمل بعير يعني من الطعام وانا به زعيم اي كفيل قال
الكلبي الزعيم هو الكفيل بلسان اهل اليمن وهذه الاية تدل على الكفالة كانت صحيحة في شرعهم وقد حكم
فان قلت كيف تصح هذه
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الحميل غارم والحميل الكفيل
قلت لم يكونوا سراقا في الحقيقة فيحمل ذلك على مثل
الكفالة لان السارق لا يستحق شيئا
رد الضايع فيكون جعالة ولعل مثل هذه المقالة كانت جائزة عندهم في ذلك الزمان فيحمل عليه قالوا
يعني اخوة يوسف تالله التا بدل من الواو ولا تدخل على اسم الله في اليمين خاصة تقديره والله لقد علمتم ما جئنا
لنفسد في الارض وما كنا سارقين قال المفسرون ان اخوة يوسف حلفوا على امرين احدهما انهم ما جاؤوا لاجل الفساد
في الارض والثاني انهم ما جاؤوا سارقين وانما قالوا هذه المقالة لانه كان قد ظهر من احوالهم ما يدل على صدقهم
وهو انهم كانوا مواظبين على انواع الخير والطاعة والبر حتى بلغ من امرهم انهم سدوا افواه دوابهم لئلا تؤذي

زرع

زرع الناس ومن كانت هذه صفته فالفساد في حقه ممتنع واما الثاني انهم ما كانوا سارقين لانهم كانوا قد
ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم ولم يستحلوا اخذها ومن كانت هذه صفته فليس بسارق
فلاجل ذلك قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين فلما تبين براتهم من هذه
التهمة قالوا يعني اصحاب يوسف وهو المنادي واصحابه فما جزاؤه ان كنتم كاذبين يعني فما جزاء
السارق ان كنتم كاذبين في قولكم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا يعني اخوة يوسف
جزاؤه من وجد في رحله يعني جزاء السارق الذي وجد في رحله ان يسلم برقبته الى المسروق منه فيسترق
سنة وكان ذلك سنة ال يعقوب في حكم السارق وكان في حكم مصر ان يضرب السارق ويغرم ضعفي
قيمة المسروق وكان هذا في شرعهم في ذلك الزمان يجري مجرى القطع في شرعنا فاراد يوسف ان ياخذ
بحكم ابيه في السارق فلذلك رد الحكم اليهم والمعنى ان جزاء السارق ان يستعبد سنة جزاء له على جرمه
وسرقته فهو جزاؤه يعني هذا الجزاء جزاؤه كذلك نجزي الظالمين يعني مثل هذا الجزاء ان يسترق السارق
سنة نجزي الظالمين ثم قيل هذا الكلام من بقية كلام يوسف اخوة وقيل هو من كلام اصحاب يوسف
وقيل فعلى هذا ان اخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق ان يسترق سنة قال اصحاب يوسف كذلك
نجزي الظالمين يعني السارقين قوله عز وجل فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه قال اهل التفسير ان
اخوة يوسف لما اقروا ان جزاء السارق ان يسترق قال اصحاب يوسف لا بد من تفتيش رحالكم فردوهم
الى يوسف فامر بتفتيشها بين يديه فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء اخيه لازالة التهمة فجعل
يفتش اوعيتهم واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر وعاء الا استغفر
الله تعالى نادما مما قذفهم به حتى لم يبق الا رحل بنيامين قال ما اظن هذا اخذ شيئا قال اخوته والله
لا نتركك حتى تنظر رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك
قوله تعالى ثم استخرجها من وعاء اخيه انما انث الكناية لانه ردها الى السقاية وقيل ان الصواع
يذكر ويؤنث فلما اخرج الصواع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم من الحيا واقبلوا على بنيامين
يلومونه ويقولون له ايش الذي صنعت بنا فضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل ما زال لنا منكم
بلا متى اخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنو راحيل ما زال لهم منكم بلا ذهبتم باخي فاهلكتموه في
البرية ان الذي وضع الصواع في رحلي وضع البضاعة في رحالكم قالوا فاخذ بنيامين رقيقا وقيل
ان المنادي واصحابه هم الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين
فاخذوه برقبته وردوه الى يوسف كذلك كدنا ليوسف يعني ومثل ذلك الكيد كدنا ليوسف وهو اشارة
الى الحكم الذي ذكره اخوة يوسف حكمنا به ليوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا محال
على الله فيجب تاويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فنقول الكيد هنا جزاء الكيد كما فعلوا
بيوسف في الابتدا فعلنا بهم فالكيد من الخلق الحيلة ومن الله التدبير بالحق والمعنى كما الهمنا اخوة يوسف
ان جزاء السارق ان يسترق كذلك الهمنا يوسف حتى دس الصواع في رحل اخيه ليضمه اليه على ما حكم به اخوته
وقال ابن الاعرابي الكيد التدبير بالباطل وبحق فعلى هذا يكون المعنى كذلك دبرنا ليوسف وقيل صنعنا
ليوسف وقال ابن الانباري كدنا وقع خبرا من الله عز وجل على خلاف معناه في اوصاف المخلوقين فانه اذا اخبر
به عن مخلوق كان تحته احتيال وهو في موضع فعل الله تعالى معنى من المعاني المذمومة ويخلص بانه وقع
بمن يكيده تدبير ما يريده من حيث لا يشعر ولا يقدر على دفعه فهو من الله مشية بالذي يكون من اجل المخلوق

Copyright © King Saud University